

## رفاعة الطهطاوى

ومدرسته

رفاعة رافع الطهطاوى<sup>(١)</sup> :

ولد رفاعة في مدينة طهطا سنة ١٨٠١ ، وفيها تلقى علومه الأولى ، ثم أتم دراسته في الأزهر ، ثم أرسل ليكون إماماً

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في المراجع الآتية :

- الشيال : رفاعة الطهطاوى ، مجموعة أعلام الإسلام ، القاهرة ١٩٤٥ .
- ٤ - الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٥٢ .
- إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ، القاهرة ١٩٤٢ .
- إبراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، القاهرة ١٩٤٤ .
- إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، القاهرة ١٩٤٤ .
- أحمد أحمد بدوى : رفاعة الطهطاوى بك ، القاهرة ١٩٥٢ .
- أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ .
- أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر ، عصر عباس وسعيد وإسماعيل ، القاهرة ١٩٤٥ .

••

للبعثة العلمية التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦ ،  
وهناك تخصص في دراسة اللغة الفرنسية ، وترجم كثيراً من  
الفصول والرسائل عن اللغة الفرنسية إلى العربية أثناء إقامته في  
باريس ، وأعد نفسه للاستغلال بالترجمة ، وخاصة ترجمة الكتب  
التاريخية والجغرافية .

وبعد خمس سنوات عاد إلى مصر فعين مترجماً في مدرسة

- 
- أمين سمي : التعلّم في مصر ، القاهرة ١٩١٧ .
  - جوزجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ،  
القاهرة ١٩٣٧ .
  - جوزجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، القاهرة ١٩٢٢ .
  - صالح مجدي : حلية الزمن بمناقب خدام الوطن ، نشر الشيال ،  
القاهرة ١٩٥٨ .
  - عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية في مصر ، عصر  
محمد علي ، القاهرة ١٩٣٠ .
  - علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ١٣ ، بولاق ١٣٠٥ هـ .
  - عمرو طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد علي ، الإسكندرية ١٩٣٤ .
  - لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر ،  
بيروت ١٩٢٦ .
  - محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية ، القاهرة ١٩٢٩ .
  - محمد الصادق حسين : رفاة الطهطاوي ، مقال في السياسة الأسبوعية ،  
السنة الثانية ، العدد ٦٤ .

-Carra de Vanx: *Les Penseurs de l' Islam, Paris 1926.*  
-Dunne (Heyworth): *Printing and Translations Under  
Muhammad Ali of Egypt. J.R.A.S. part III, July 1940. P.P.*  
243-259.



انگلیس

رفاعة رافع الطهطاوى

obeikandi.com

الطب بالقاهرة ، ثم نقل بعد سنتين مترجماً بمدرسة الطوبجية فترجم بعض الكتب الهندسية والجغرافية .

وقد شغف رفاة أثناء وجوده في باريس بدراسة العلوم الإنسانية بوجه عام ، وعلى التاريخ والجغرافيا بوجه خاص ، ولهذا ترجم بعض الرسائل التاريخية والجغرافية<sup>(١)</sup> أثناء دراسته في العاصمة الفرنسية ، ويبدو أنه - بعد إتمام دراسته وعودته إلى مصر - عقيد العزم على أن يفرغ لترجمة الكتب الفرنسية في هذين العلمين ، فإنه يقول في رحلته : « وإن شاء الله تعالى يصير التاريخ على اختلافه منقولاً عن الفرنسية إلى لغتنا ، وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة علمي التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة ، بمشيئته تعالى » .

ولهذا بادر رفاة أثناء قيامه بوظيفة مترجم في مدرسة الطوبجية بإنشاء مدرسة خاصة لتدريس هذين العلمين ، وستكون هذه المدرسة النواة الأولى لمدرسة الألسن التي ستنشأ فيما بعد .

### مدرسة التاريخ والجغرافيا :

ولم تشر المراجع التي كتبت عن تاريخ التعليم في عصر محمد علي إلى هذه المدرسة ، ولكن بعض وثائق العصر أشارت إلى وجودها ، فقد صدر أمر من محمد علي إلى ناظر الجهادية في ١٤

(١) راجع الشيال : رفاة الطهطاوى ، ص ٢٧ - ٢٨ .

جمادى الآخرة سنة ١٢٥١ (قبيل إنشاء مدرسة الألسن) «بتعيين «عبده» مدرساً للجغرافيا بمكتب البيادة بدمياط ، وهو من ضمن الأربعة المتمين السابق إرسالهم لطرة للقيام بتدريس ( يقصد بتعليم ) الجغرافيا بمدرستها ، وهم من الذين رباهم الشيخ رفاة وإرسال ١٠ شبان للشيخ لتربيتهم » .

وهذه كما يتضح من نص الأمر السابق لم تكن مدرسة بالمعنى الصحيح ، ولكنها لم تعد أن تكون فصلاً ملحقاً بمدرسة المدفعية خصص لتعليم بعض الطلبة علم الجغرافيا ، ليتخرجوا مدرسين لهذا العلم في المدارس الحربية الأخرى ، غير أن رفاة يسمى هذا الفصل بالمدرسة ، ويذكر أنها أنشئت بموافقة « مشورة الجهادية » لتعليم الجغرافيا والتاريخ ، لا الجغرافيا وحدها ، وقد أشار إلى هذه المدرسة في مقدمة الكتاب الجغرافي الذي ترجمه بعنوان : « التعريبات الشافية » ، قال : « لما سمحت مشورة الجهادية ، ذات الآراء السنية الذكية ، أن أفتح لفنون الجغرافيا والتاريخ مدرسة تكون على قراءة هذه العلوم مؤسسة ، لتشتهر ثمراتها الزاهرة . . أخذت عدة تلامذة لهذا المعنى المدبوح وتوجهت بالقلب والقالب لتعليمهم بصدر مشروح ، وليس بيدي من كتب الجغرافيا شيء باللغة العربية يحتوي على التفصيل والترتيب على نسق ما في الكتب الأفرنجية ، فلهذا اعتمدت

كتاباً موجزاً في هذا الفن النفيس ، موضوعاً لمدارس مبادئ العلوم بمدينة باريس ، وشرعت في ترجمته درساً بعد درس لهذا القصد حتى لا يضيع السعى ولا ينجيب الجهد ، ولما رأيت أن مؤلفه أطنب في أوروبا لكونها وطنه ، وأوجز في غيرها حيث لم تكن داره ولا سكنه ، فهذا الوصف لا يكون لنا كافياً ، ولا لغليل المتعلمين إليه شافياً ، وكنت أطلعت على غيره من كتب العلوم الجغرافية ، ومارست كثيراً منها ، وراعتها حق رعايتها مدة إقامتي بمملكة فرنساوية ، وأردت أن أعم المراه بتلخيص مايناسب المقام ، حتى تحصل الموازنة والموازنة ، والمعاداة والمقارنة . . . » إلى أن قال : « . . . وإن شاء الله يترجم من اللغة العربية إلى التركية حتى تكون ثمرته عامة جليلة . . الخ » .

لم يقنع رفاة بهذا الفصل أو بهذه المدرسة « كما يجب أن سميها » فقد كانت له أهداف كبرى ترمى إلى نقل « التاريخ على اختلافه » عن الفرنسية إلى العربية ، فتقدم بعد قليل إلى محمد علي يقترح إنشاء مدرسة أخرى لتعليم اللغات ، ووافق هذا الاقتراح هوى في نفس محمد علي ، فقد كان يريد ترجمة عدد كبير من الكتب الأوروبية في مختلف العلوم والفنون<sup>(١)</sup> ليستعين بها الطلاب في مدارسه الجديدة ، وكان يفوزة في مصر وجود

(١) راجع الشيال : رفاة الطهطاوى ، ص ٤٠ - ٥٣ .

الترجمين الذين يتقنون اللغات الأوربية ليقوموا بهذه المهمة ، فأُسرع بالمواقفة ، وأنشئت مدرسة الألسن في أوائل سنة ١٢٥١ ( ١٨٣٥ ) ، وعين رفاعة ناظرًا لها ، وفي أوائل سنة ١٢٥٨ ( ١٨٤١ ) أنشئ قلم للترجمة<sup>(١)</sup> وألحق بالمدرسة ، وعين فيه خريجوها ليقوموا بترجمة الكتب التي تطلب الحكومة ترجمتها . وسوف لا أتحدث هنا بالتفصيل عن هذه المدرسة وهذا القلم وعن جهودها<sup>(٢)</sup> ، وإنما أحب أن ألفت النظر هنا إلى نقطة هامة لها اتصال وثيق بموضوع بحثنا هذا ، ذلك أن التاريخ اعترف به كعلم لأول مرة في تاريخ التعليم في مصر الإسلامية ، وجعل لأول مرة مادة من مواد الدراسة في مدرسة الألسن ، وعين له مدرس خاص لتدريسه ، ولسنا نعرف أن التاريخ كان علماً يدرس في المساجد أو المدارس في مصر أو غيرها من أقطار العالم الإسلامي . حقيقة لقد نبغ كثيرون من علماء المسلمين في التاريخ وألفوا فيه مئات الكتب التاريخية الهامة ، بل لقد نضجت الدراسات التاريخية نضوجاً واضحاً ووصلت في تطورها إلى مرحلة هامة حاسمة في القرن الخامس عشر الميلادي ، فوضع ابن خلدون في مفتح هذا القرن مقدمته التي فلسف فيها التاريخ وحاول فيها لأول مرة

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) فصلت هذا الحديث في كتابين لي هما : « تاريخ الترجمة والحركة

الثقافية في عصر محمد علي » و « رفاعة الطهطاوى » .

أن يبين أثر العوامل الجغرافية والجو والبيئة في أخلاق الشعوب وثوراتهم ، وفي العمران ، وفي تطور التاريخ بوجه عام .  
وفي نهاية هذا القرن وضع السخاوى كتابه « الإعلان بالتوبيخ<sup>(١)</sup> » الذى حاول فيه أن يؤرخ للتاريخ فى العالم الإسلامى .

وحقيقة كان بعض المؤرخين يقرأ كتبه التاريخية لتلاميذه ، أو يجيزهم لرواية هذه الكتب عنه ، ولكن هذه الجهود كلها كانت جهوداً شخصية تسير فى نطاق الهواية الفردية الحرة بعيداً عن معاهد العلم ومدارسه ، ولم نثر على نص أو إشارة تفيد اعتراف مدرسة من هذه المدارس بالتاريخ كعلم ، أو تضعه بين مناهجها ، ولم نسمع عن أستاذ تفرغ فى مدرسة من هذه المدارس أو عُيِّن لتدريس التاريخ ؛ ولم تكن مصر ولم يكن العالم الإسلامى بدعا فى هذا ، فقد كان هذا هو المتبع فى أوروبا إلى نفس الوقت تقريباً ، لقد ظهر فى أوروبا فى العصور الوسطى وفى عصر النهضة عدد من المؤرخين ، ولكن التاريخ لم يعترف به كعلم ولم يكن يدرس فى الجامعات الأوربية إلى أواسط القرن الثامن عشر ، وكان الملك جورج الأول أول من أنشأ كرسيًا للتاريخ الحديث

(١) انظر : ( السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ) ،  
(Rosenthal: A History of Muslim Historiography., Leiden  
1952)

في كل من جامعتي أوكسفورد وكمبردج في أواسط القرن الثامن عشر ، غير أن الأستاذ جوش يقول : « ولكن الأساتذة الذين تولوا هذ الكرسي - ومن بينهم الشاعر جرای Gray - لم يحاضروا البتة أو قلّ أن حاضروا في هذا العلم »<sup>(١)</sup> ؛ وكذلك لم تعترف فرنسا بالتاريخ كعلم إلا في سنة ١٧٦٩ عندما أنشئ في الكوليج دي فرانس Collège de France كرسي للتاريخ والأخلاق .

ولا نستطيع أن نقول إن شيئاً كهذا حدث في مدرسة الألسن في مصر ، فلم ينشأ بها كرسي للتاريخ إذ لم تكن جامعة بالمعنى المعروف في أوروبا ، ولم يعين أستاذ خاص لتدريس التاريخ بها ، وإنما الذي نحب أن نقرره أن الحكومة المصرية اعترفت لأول مرة بالتاريخ والجغرافيا كعلمين يدرسان في مدارسها الحديثة ، بل لقد كان الاعتراف بالجغرافيا أوضح وأقوى من الاعتراف بالتاريخ ، فكانت الجغرافيا مادة تدرس في المدارس الابتدائية<sup>(٢)</sup> الحديثة ، ولم تعترف مناهج هذه المدارس بالتاريخ ، وإنما اعترفت به مناهج المدارس التجهيزية ، فكان تلاميذ السنة الثالثة يدرسون النصف الأول من كتاب الجغرافيا ومن كتاب تاريخ

(١) Gooche: *History and Historians in the 19 th Century*. P. 12.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧ .

القدماء تأليف رفاة أفندى ، وكان تلاميذ السنة الرابعة يدرسون النصف الثاني من هذين الكتابين<sup>(١)</sup> .

وعمل رفاة على تدريس التاريخ في مدرسة التاريخ والجغرافيا التي أنشأها بعد عودته من البشة ، ولما أنشئت مدرسة الألسن لم يكن التاريخ يدرس بها في أول سنة ، ولكن لجنة الامتحان اقترحت في نهاية هذه السنة الأولى تدريس التاريخ بها « وأرسلت إلى أوروبا لشراء كتب فرنسية في الأدب والقصص والتاريخ<sup>(٢)</sup> .

مهما يكن من أمر فقد كانت هذه خطوة لها أهميتها الكبرى وكان الفضل الأكبر فيها لرفاعة ، ولم يقنع رفاة بهذا فقد كانت له أهداف أكبر يريد تحقيقها لتدعيم دراسة التاريخ ولتدعيم حركة التأليف التاريخية في مصر الحديثة .

ولقد كانت جهوده كلها موجهة في النصف الأول من القرن التاسع عشر لترجمة الكتب التاريخية ، ولتزويد المكتبة العربية بمجموعة من الكتب المعربة تغطي تاريخ العالم بقدر الإمكان ، وقد عمل في هذا الميدان رائداً يحيط به ويساعده جماعة من نوابغ تلاميذه خريجي مدرسة الألسن .

أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ( وخاصة في

(١) احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ،

ص ٢٢٩ ( نقلا عن وثائق عابدين ) .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٣ .

عصر إسماعيل) فقد خطا رفاة الخطوة الثانية الطبيعية ، وبدأ  
يؤلف في التاريخ ، وفي تاريخ مصر بالذات .

عاشت مدرسة الألسن نحو الخمسة عشر عاماً بدأت تسيطر فيها  
على شئون الثقافة العامة في مصر ، وأنتجت في إبانها الإنتاج العلمي  
الوفير ، ويبدو أن رفاة كان يراعى رغبات الوالى وحاجات  
الحكومة والمدارس عند اختيار الكتب التي تترجم ، ولكنه  
كان يتخير الكتب التاريخية تبعاً لخطه رسمها لنفسه ، فإنه يتضح  
من مراجعة هذه الكتب أنه كان يريد أن يترجم كتباً مختلفة تغطي  
تاريخ العالم منذ أقدم العصور حتى أحدثها ، وإن كان تاريخ فرنسا  
قد حظى منه بعناية خاصة ، فقد ترجم فيه أكثر من كتاب ،  
ولعل هذا راجع لثقافة رفاة الفرنسية ، وللعلاقات التي كانت تربط  
بين مصر وفرنسا منذ نزلت بأراضيها الحملة ، أو لاستعانة محمد على  
بالفرنسيين في إصلاحاته إثاره إيفاد معظم البعثات إليها .

وقد عنى رفاة بعلم التاريخ هذه العناية ، وعهد إلى تلاميذه  
بترجمة الكتب الكثيرة فيه لأسباب متعددة ، أولها ميله الخاص  
وثانيها وأهمها ما كان يحسه من شغف محمد على الشديد بدراسة  
حوادث الأمم وتراجم عظماء الرجال .

بدأ رفاة بتنفيذ هذه الخطة ، فاختر كتاباً في تاريخ الدول  
والشعوب القديمة من مصريين وسريانيين وبابليين وأكراد

وفرس ويونانيين .. إلخ ، وعهد إلى تلاميذه في مدرسة الألسن بترجمته ، وسمى هذا الكتاب بعد تعريبه « بداية القدمات وهداية الحكماء » ، ولما كان هذا الكتاب في أصله الفرنسى « ناقصاً في تاريخ الخليفة والعرب ، وكان في كتاب عماد الدين أبي الفدا سلطان حماة ما يفي بالأرب » فقد أضاف رفاة إليه فصولاً من هذا الكتاب « لكمال المطلوب وبلوغ المرغوب » .

والمطوب والمرغوب - كما رجحنا - هو تغطية تاريخ العالم بسلسلة من الكتب ، ولهذا نراه لا يتقيد بنصوص المؤلفين عند الترجمة ، بل يبيح لنفسه إضافة أجزاء من كتب عربية قديمة ليكمل بها ما في هذه الكتب من نقص ، وليحقق خطته التي رسمها لنفسه .

وكان هذا الكتاب أول كتاب تاريخي ترجمه مدرسة الألسن ، فقد طبع في سنة ١٢٥٤ ( ١٨٣٩ م ) واشترك في ترجمته ثلاثة من تلاميذ رفاة هم : مصطفى الزرابي ومحمد ، عبد الرازق ، وعبد الله أبو السعود .

وبعد الفراغ من ترجمة هذا الكتاب في تاريخ العالم القديم ، تخير رفاة كتاباً آخر في تاريخ العصور الوسطى ، وعهد لمصطفى الزرابي بترجمته ، فخرج كتاباً كبيراً في جزئين ، وقدم له رفاة بما يؤكده خطته التي زعمناها ، قال : « . . . يقول الفقير إلى الله تعالى رفاة زافع ناظر مدرسة الألسن : هذه رسالة في تاريخ

القرون المتوسطة تكملة لتاريخ القدماء الذى طبعه ولى النعم .. الخ»  
وقد سمي هذا الكتاب : « قررة النفوس والعيون بسير ما توسط  
من القرون » .

تناول هذان الكتابان تاريخ العصور القديمة والمتوسطة ،  
وقد انقسم العالم في العصور الحديثة إلى دول كثيرة مختلفة ، ولكل  
دولة تاريخها ، وقد سنى رفاة بتاريخ فرنسا خاصة للأسباب المتقدم  
ذكرها ، فعهد إلى أحد النابغين من تلاميذه — أبى السعود  
أفندى — بترجمة كتاب « نظم اللآلىء فى السلوك فيمن حكم  
فرنسا من الملوك » ، فترجم وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

وبعد سنوات عهد إلى تلميذ آخر هو حسن قاسم بترجمة  
كتاب ثانٍ فى تاريخ فرنسا من تأليف المؤرخ الفرنسى  
« مونيكورس » ، وطبعت الترجمة فى بولاق سنة ١٢٦٤ .

وقد عرف رفاة أن محمد على يبنى عناية خاصة بدراسة سير  
أمثاله من الملوك والمصلحين ، والذين نهضوا بأممهم نهضات  
يذكرها التاريخ ، ولهذا اختار « تاريخ ملك من ملوك الفرنج تعلق  
همته بينهم على الريح ، هو تاريخ بطرس الأكبر ، الذى فضله بين  
ممالك أوربا أشهر من أن يذكر »<sup>(١)</sup> ، وعهد إلى نابغ آخر من  
تلاميذه ومواطنيه — وهو أحمد عبيد الطهطاوى — بترجمته

(١) الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر ، ص ٣ .

والكتاب من تأليف الفيلسوف الفرنسي المعروف فولتير .  
 ومن كتب التراجم التي عربها خريجو الألبن كذلك كتاب -  
 « مطالع شמוש السير في وقائع كارلوس الثاني عشر » - ملك  
 السويد - ترجمه محمد مصطفى البياع « وكانت ترجمته بأوامر مدير  
 المدارس ، لزال ( مختاراً ) لإبراز الدرر والنفائس <sup>(١)</sup> » .  
 ولما كان الكتاب يؤرخ لملكة « أسوج » - السويد -  
 حتى عهد كارلوس الثاني عشر ، فقد رأى المترجم أنه من المناسب  
 أن يذيله « بتذييل لطيف يذكر فيه من حكمها بعده من الملوك إلى  
 عهدنا هذا ( طبع الكتاب سنة ١٢٥٧ ) على طريق الإيجاز ،  
 لتعلم أحوال تلك البلاد الشمالية ، وتم بذلك فائدة الكتاب » .  
 وقد إلتخب المترجم هذا التذييل من « كتاب المؤلف راغوان  
 في أحوال القرن الثامن عشر » <sup>(٢)</sup> .

هذه هي الخطة التي رسمها رفاة لتزويد المكتبة العربية بعدد  
 من الكتب يغطى تاريخ العالم في عصوره القديمة والمتوسطة  
 والحديثة ، قد عمل على تنفيذها بالاستعانة بنفر من تلاميذه .  
 خريجي الألسن .

وقد كان لهذه الخطوة أهمية كبرى فقد أصبح بين أيدي .

(٢) مطالع شמוש السير ، ص ٣ .

(٣) تارجع السابق ، ص ٢٥٥ .

المثقفين المصريين وقراء العربية ولأول مرة مجموعة من الكتب التاريخية تؤرخ للعالم في عصوره المختلفة تاريخاً علمياً صحيحاً ، وقبل  
 هذا لم يعن المؤرخون المسلمون إلا بالتأريخ للعالم الإسلامي ولم يحاولوا أن يؤرخوا للعوالم أو للشعوب غير الإسلامية<sup>(١)</sup> تاريخاً خاصاً ، وما ذكروه عن بعض الدول والشعوب التي اتصلت بالعالم الإسلامي كالدولة البيزنطية ، أو الجمهوريات الإيطالية ، أو المسيحيين في أسبانيا ووسط أوروبا ، أو الفرنج المشتركين في الحروب الصليبية لم يعد أن يكون شذرات أو فقرات أو فصولاً قصيرة محدودة غير واضحة المعالم .

وأما ما كتبه المؤرخون المسلمون عن تاريخ العالم في العصور القديمة فإنه مليء بالخرافات ، ولكن هذه التواريخ التي ترجمها رفاعة وتلاميذه حملت إلى قراء العربية — للمرة الأولى — معلومات صحيحة وجديدة ، فقد عنيت أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عناية خاصة بالبحوث الأثرية وكشف الأثريون عن كثير من المدن والآثار القديمة وألفت كتب كثيرة في تاريخ

B. Lewis : *Th Arabs in History*. London 1950. (١)

P. 164 to 165.

والترجمة العربية لهذا الكتاب : العرب في التاريخ ، ترجمة نبيه أمين فارس ، ومحمود يوسف زايد ، بيروت ١٩٥٤ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

الدول والحضارات القديمة بعد أن أفاد مؤلفوها كثيراً من الكشوف الأثرية .

ومما لا شك فيه أن هذه الكتب - رغم أنها مترجمة غير مؤلفة - كانت أقوى تأثيراً في المجتمع المصري من الكتب التاريخية التي ترجمت من قبل إلى اللغة التركية بأمر محمد علي ، فقد ترجمت هذه إلى اللغة العربية وطبع من كل كتاب ألف نسخة ، وكان بعضها يقرأ أو يدرس في المدارس الحديثة وخاصة مدرسة الألسن ، وأقبل على قراءتها عدد كبير من خريجي هذه المدرسة ؛ والمرجح أنها انتشرت أيضاً في أوساط المعلمين في مصر والبلاد العربية ، والنتيجة الهامة لهذه الحركة في رأي أن المثقفين من قراء العربية بدأوا ينظرون إلى التاريخ نظرة إنسانية بعد أن كانوا ينظرون إليه - على ضوء المؤلفات التاريخية القديمة - نظرة محلية محدودة ، وبدأوا يعرفون أن هناك أمماً وشعوباً أخرى لها حضاراتها وثقافتها وتاريخها - وإن اختلفت عنهم في الدين - .

وكان من الممكن أن تؤتي مدرسة الألسن ثماراً أنضج وأن تؤثر في الثقافة العربية أثراً أقوى وأوضح لو أنها استمرت في طريقها ، ولكن عباساً الأول لم يكد على عرش مصر ( سنة ١٨٤٨ ) حتى أمر بإغلاق هذه المدرسة ، وأبعد زفاعة إلى السودان ليشرّف على مدرسة ابتدائية أنشئت في الخرطوم ، وشتت

تلاميذه ومعاونيه في المصالح والإدارات الحكومية المختلفة .  
ومات عباس في ١٨٥٤ ، وخلفه سعيد ، فأعاد رفاعة إلى  
مصر ، ثم عينه ناظراً للمدرسة الحربية في القلعة ، ولم يأس رفاعة ،  
بل رحب بالمنصب الجديد ، وسعى حتى صبغ للمدرسة بصبغة مدنية  
واضحة ، وأقحم الدراسات التي يتقنها ويميل إليها في المنهاج إقحاماً ،  
تجعل دراسة اللغة العربية واجبة على الجميع ، وترك للتلاميذ حرية  
اختيار إحدى اللغتين الشرقيتين : الفارسية والتركية ، وإحدى  
اللغات الأوربية : الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

وفي سنة ١٨٦٣ ولى إسماعيل عرش مصر ، وكان إسماعيل  
يرى - من يوم أن تولى الحكم - إلى إصلاح القضاء في مصر  
ليقل من حدة الأجانب ، ولهذا بدأ يعد العدة لهذا الإصلاح بوضع  
المشروعات لترجمة القوانين الفرنسية ، وإعداد المصريين الذين  
يصلحون لتولى مناصب القضاء الجديد ؛ وترجمة القوانين أنشئ  
قلم الترجمة الجديد في سنة ١٨٦٣ ، ولإعداد القضاة أنشئت مدرسة  
الألسن الجديدة في سنة ١٨٦٨ .

وعين رفاعة ناظراً لقلم الترجمة ، فاختار معاونيه في العمل  
جماعة من تلاميذه القدامى خريجي مدرسة الألسن القديمة هم :  
عبد الله السيد ، وصالح مجدى ، ومحمد قنبرى ، ومحمد لاط ،  
وعبد الله أبو السعود ، وبدأ رفاعة وتلاميذه بترجمة القانون  
الفرنسي (Code Napoléon) .

ولكن رفاة لم يكن يعنيه القانون في كثير أو قليل ، وإنما كان يعنيه علم التاريخ ، ولهذا خطأ في عهد إسماعيل الخطوة الثانية الطبيعية ، وترك الترجمة وبدأ يؤلف في علم التاريخ .

ومؤلفات رفاة في التاريخ تختلف عن ترجماته ، كما أنها تمثل في رأي مرحلة من مراحل تطور الدراسات التاريخية التي عرفتها أوروبا وصرت بها في القرن التاسع عشر ؛ فقد امتاز القرن التاسع عشر في أوروبا بميزتين هامتين ، إحداهما سياسية والثانية ثقافية ، أما الأولى فهي ظهور الثورات الشعبية وحركات التحرير والوحدة القومية ، وأما الثانية فهي حركة العناية بالآثار والحضارات القديمة والكشوف الأثرية التي ألفت كثيراً من الأضواء الجديدة على التاريخ القديم وعلى الحضارات المصرية والأشورية والبابلية واليونانية والرومانية .

وقد كان لهاتين الميزتين أو الظاهرتين أثرها الواضح في حركة التأليف التاريخي في أوروبا في القرن التاسع عشر ؛ فعنى المؤرخون الأوروبيون بنواحي التاريخ القومي ، وبدأ المؤرخون في كل دولة من دول أوروبا يضمنون الكتب في تاريخ بلدهم وقومهم ، وكان ذلك كله رد فعل للظاهرة الأولى ، كما أنهم بدأوا يفيدون من نتائج الكشوف الأثرية ويضمنون المؤلفات الجديدة في تاريخ الحضارات القديمة ، وكانت هذه الحركة صدى للظاهرة الثانية .

وكان لهاتين الظاهرتين أثرها كذلك في حركة التأليف التاريخي في مصر في هذا القرن ، وانعكس هذا الأثر في جهود رفاة وتلاميذه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . حقيقة لم يدرك رفاة ثورات المصريين على الحملة الفرنسية ، فقد ولد في سنة ١٨٠١ ، وهي السنة التي جلت فيها الحملة عن مصر ، ولكنه سمع عنها الكثير ولا شك من أستاذه الشيخ حسن المطار ، وقرأ عنها الكثير في كتابي الجبرتي : « عجائب الآثار » و « مظهر القديس » ، ثم هو قرأ الكثير عن الثورة الفرنسية الكبرى أثناء دراسته في باريس ، وترجم فصولاً عنها في الكتب التي ترجمها هو وتلاميذه في تاريخ فرنسا ، ثم هو قد قرأ كثيراً من مؤلفات الكتاب الفرنسيين الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية من أمثال روسو وفولتير ومونتسكيو ، بل لقد ترجم لمونتسكيو<sup>(١)</sup> ، واختار كتابين من كتب فولتير أحدهما في تاريخ بطرس الأكبر ، والثاني في تاريخ الرومان ليرجمهما اثنان من تلاميذه في الألسن ، ورفاعة أخيراً شهد بنفسه ثورة سنة ١٨٣٠ في فرنسا ، وترجم في رجلته الدستور الفرنسي الذي وضعه لويس الثامن عشر ، وسماه « شرطة » La Charte .

لهذا كله أتجه رفاة — عندما بدأ التأليف في التاريخ —

(١) انظر الشيال : رفاة الطهطاوى ، ص ٩٠ - ٩٢

أبجها قومياً ، فوضع لنفسه خطة جديدة ترمى إلى وضع مؤلف ضخم متعدد الأجزاء في تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة إلى العصر الحديث .

وقد كان للجهود التي بذلها علماء الحملة الفرنسية في مصر أثر جرد واضح في لفت الأنظار إلى الآثار المصرية القديمة وضرورة دراستها دراسة علمية سليمة ، فقد سجل رسامو الحملة وبوجه خاص البارون « دينون » في كتاب وصف مصر مجموعة كبيرة من صور هذه الآثار المنبثة في أنحاء مصر من الإسكندرية إلى أسوان<sup>(١)</sup> ، وكانت هذه الصور رائعة ودقيقة ، ولهذا فقد لفتت أنظار العلماء والمؤرخين في أوروبا بعد نشر كتاب وصف مصر ( ١٨٠٩ - ١٨١٣ ) إلى ضرورة البحث والتنقيب عن هذه الآثار لدراستها دراسة علمية .

كذلك كان لعثور رجال الحملة على حجر رشيد أثر جرد خطير ، فقد عكف العلماء بعد ذلك على قراءة ما عليه من نصوص ، إلى أن وفق العالم الفرنسى شامبليون في فك رموز الكتابة الهيروغليفية ، وبهذا أمكن قراءة ما عثر عليه من نصوص على أوراق اليردى وعلى المقابر والمعابد والآثار المصرية

(١) انظر : عبد المنعم أبو بكر : البحوث الأثرية وأثرها في كتابة

التاريخ القديم ( المجلة التاريخية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦ ، ص ٣ - ٤٦ )

المختلفة ، وكانت هذه النصوص هي المفتاح الذي قاد المؤرخين إلى التعرف على أصول الحضارة المصرية القديمة وأسرارها ، بعد أن ظلت قرونًا طويلة وهي سر مغلق لا يعرف كنهه ، ويكفي أن نرجع إلى ما كتبه المؤرخون المصريون في العصر الإسلامي عن بقايا هذه الآثار لنعرف إلى أي حد كانوا يجهلون بسائط هذا التاريخ ، ويرجع هذا الجهل إلى ضياع أصول اللغة المصرية القديمة وعدم وجود من يستطيع قراءة خطوطها المختلفة ، حتى لقد كان هؤلاء المؤرخون المصريون المسلمون يصفون النقوش التي توجد على الآثار فيقولون إنها مكتوبة « بالقلم المجهول » .

ثم أقبل الباحثون والمنقبون الأوربيون على الحفر وكشفوا عن كثير من الآثار المصرية القديمة ، وبدأ المؤرخون والأثريون أمثال ماريت وماسبيرو وبروكش وغيرهم يفيدون من نتائج هذه الكشوف فيكتبون تاريخ مصر القديم كتابة جديدة صحيحة إلى حد كبير ، وكان لهذه الحركة أثرها في رفاة ، فهو عندما أراد أن يؤلف كتابه في تاريخ مصر لم يبدأ بالفتح العربي ، أو بظهور الإسلام ، أو ببدء الخليقة كما كان يفعل سابقوه جميعاً من المؤرخين في العصر الإسلامي ، بل بدأ بتاريخ مصر القديم وخصص الجزء الأول لتاريخ مصر في عصور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين ، ووقف عند الفتح العربي ، وسماه « أنوار توفيق

الجليل في أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل « لأنه قدمه للتخديو  
إسماعيل ، وقد طبع هذا الجزء في بولاق في سنة ١٢٨٥ .

وهذا الجزء يعتبر بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل فهم التاريخ  
المصرى . ، فقد كان المؤرخون المصريون في العصر الإسلامي إذا  
عالجوا هذا التاريخ بخسوه حقه وأنقصوا من قدره ، لأنهم كانوا  
يجهلون حقائقه ، ولا يعرفون عنه إلا خليطاً من الخرافات والأباطيل ،  
ولأن هذا العصر في نظرهم كان يمثل الوثنية القديمة التي كانت  
تعبد الأصنام من دون الله وتتعرف بتعدد الآلهة .

ولكن رفاة كان أول مؤرخ مصرى عرف تاريخ مصر  
القديم على حقيقته في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية وما  
كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره ، وهو أول مؤرخ مصرى  
آمن بأعجاب هذا التاريخ المصرى الفرعونى القديم ، ولم يلغنه ولم  
ينقص من قدره ، بل أعلن اعتداده واعتزازه به حين كتب عنه ،  
فحصر في رأيه أم الحضارات « ولم تسبقها أمة في ميدان المدنية  
ولا في حومة تقنين القوانين وتشريع أحكام الأحكام المدنية ،  
ولم تجحد نعمة اقتباس علومها أمة ولا ملّة ، ولا أنكرت  
الاستضاءة بنور نبراسها مملكة عظيمة ولا دولة (١) » .

(١) أنوار توفيق الجليل ، ص ٥

ورفاعة يختلف في فهمه للتاريخ المصرى عن سبقة من المؤرخين المصريين اختلافاً واضحاً ، وذلك لأن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا يفهمون هذا التاريخ فهماً مجزئاً ، فيكتبون عن تاريخ كل خليفة أو ملك على حدة ، ويؤرخون لكل سنة على حدة ، لذلك آثروا طريقة الحوليات عند كتابة تواريخهم ، وقليل منهم من استطاع أن ينظر النظرة الشاملة لتاريخ مصر في جملة ، أو لتاريخ عصر برمه ، أو تاريخ خليفة أو ملك كوحدة قائمة بذاتها ، أما رفاعة فقد فهم التاريخ المصرى فهماً جديداً ، ونظر إليه نظرة شاملة ، وأدرك أنه تاريخ مستمر ، وأن الحضارة المصرية سلسلة متصلة الحلقات على العكس من بعض الحضارات القديمة الأخرى ، « فما اختلفت به مصر من بين الممالك أن كل مملكة تستنير برهة ثم تنطفى ، وتشرق شمس بهجتها ثم تختفي ، فكأنما نورها شيء ما كان ، ولا لمع ضوءها في زمن من الأزمان ، وأما مصر فأغرب شيء من بقاء شمس سعدها وارتقاء كوكب مجدها أنها بقيت سبعين قرناً حافظة لمرتبتها العليا ، لها اليد البيضاء والسلطنة المعنوية على سائر ممالك الدنيا (١) » .

ثم هو يرى أن مصر لها تاريخ مجيد قديم عريق في القدم ، يمتد بجذوره إلى الماضى السحيق ، إلى عصر الفراعين وما قبل

الفراعين ، وأن مصر كانت منذ هذا العصر البعيد ذات حضارة مزدهرة تشع أنوارها على العالم ، وأن هذه الحضارة بقيت شعلتها مضاءة خلال العصور جميعاً ، سواء أكانت هذه العصور عصور قوة واستقلال أم عصور ضعف وتبعية ، بل لقد فطن رفاة إلى حقيقة واضحة ، وهي أن مصر عندما كانت تفقد استقلالها المادى كانت تظل حاملة لشعلة الحضارة ، وكانت تبرز غيرها من الدول في ميدان الفكر والعلم ، وكانت الدول الأخرى تفيد من نهضة مصر العلمية ؛ حدث هذا في المصريين اليوناني والروماني ، أما في العصر الإسلامي فقد وقفت مصر تذود عن سماها وعن حمى الشرق الإسلامي ، فانتصرت على جيوش أوروبا الصليبية أكثر من مرة ، وأسرت كبيراً من ملوك أوروبا هو الملك لويس التاسع وأودعته سجونها إلى أن مننت عليه وعفت عنه وأطلقت سراحه .

فطن رفاة إلى هذا كله وعبر عنه لأول مرة في كتاب يكتب باللغة العربية ، قال في المقدمة واصفاً أجداد الحضارة المصرية ، وشارحاً فكرة استمرارها ، وأثرها في جميع دول العالم : « فقد كانت (مصر) في أيام الفراعنة أم أمم الدنيا ، وكانت شوكة سلاحها قوية ، وهبتها في القلوب متمكنة علياً ، وفي أيام الإسكندر ومن بعده البطالسة ، وأزمان دولة الرومانيين القاهرة العابسة ، كانت مصر أيضاً رحيمة الدولة مهيبة الصولة ، كما انتفش في سجايا قلوب الأمم .

من فخارها ، وارتسم في مرايا الملل من رفعة منارها ، فكانت إهابتها بالقوة المعنوية بقدر إهابتها أيام الفراعنة بالقوة الحسية ، أو ليس أن حكاء الاسكندرية وعلماءها وفلاسفتها اشتهروا بالعلوم العقلية لاسيما علم الأخلاق والعوائد ، وكثرت آراؤهم ومذاهبهم ، وأخذ عنهم الصادر والوارد ، والمتردد والوافد عموم المنافع والفوائد ، فتشعبت منها العلوم في سائر معالم البلاد ، فتغيرت أحوال البلاد تغيرا حثيثة ، ونشأ عنها صورة حوادث الأزمان الحديثة ، وكذلك في القرون الوسطى المعلومة التي افتتحها فتوح الإسلام لمصر في حالة مفهومة ، تجدد في مصر ما لا مزيد عليه من التقدمات والأهمية مما لا يكاد يوجد في غيرها من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ؛ إذ كانت قطب رحى ديار الإسلام ومركز دائرة شريعة خير الأنام ، فقد انتصر سلاطينها على ملوك الإفرنج ، وغلبوا الجم الغفير وهزموا الجند الكثير ، وظهروا عليهم في جهاد أهل الصليب وخلصوا بلاد القدس وغيرها من أيديهم بتوطين النفس في الحرب على الشدة والتصلب ، ولما ظهر ملك فرنسا بجهة دمياط والمنصورة ظهر عليه جند مصر فرجعت جيوشه مهزومة مقهورة ، وفادى بنفائس الأموال نفسه ، وعاد إلى بلاده . . . ومن سوابق هذه المخاطبات الشرقية ، وعلائق التقدمات الأندلسية انتشر التمدن من المشرق إلى المغرب ، وأعظم الفضل لديار مصر في انتشار

هذا التمدن المرقص المطرب . . .» (١) .

هذا الفهم الجديد لتاريخ مصر ، وهذا التعبير الجديد عن هذا الفهم هو مظهر من مظاهر الإفاقة ، وظهور الوعي القومي الجديد ، وهو يختلف اختلافاً بيناً واضحاً عن فهم المؤرخين المصريين السابقين لتاريخ بلادهم .

وإني أعتقد أن هذا الفهم الصحيح للتاريخ المصري الذي بدأه رفاة كان له أثره الواضح في الأجيال التالية ، فقد استقر في أذهان القادة والناس ، وظلت هذه النعمة تتردد على ألسنتهم وتعمل عملها في إيقاظ أرواحهم أثناء جهادهم المتصل للحصول على الاستقلال في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولست أقول هذا القول افتراضاً ، بل هناك من الأدلة ما يثبتته ، فقد طلب عبد الله النديم خطيب الثورة العراقية وهو مختفٍ في مخبئه مجموعة من الكتب ليقرأها في وحدته ، كان من بينها كتب رفاة الطهطاوى ، وقد اتصل مصطفى كامل الزعيم الوطنى فى شبابه الأول بعبد الله النديم ، بعد أن عفا عنه الخديو وعاد إلى مصر ، وتأثر به وتلمذ عليه ، ونحن لو درسنا الكثير من خطب ومقالات عبد الله النديم ومصطفى كامل وغيرها ممن أتى بعدها من الكتاب والزعماء الوطنيين دراسة مقارنة لتأكدت لدينا هذه الحقيقة ولوجدنا

هؤلاء جميعاً يرددون هذا الفهم الجديد للتاريخ المصرى والذى عبر عنه رفاعه — كما قلنا — لأول مرة .

وقد بدأ رفاعه هذا الجزء بمقدمة فى جغرافية مصر ، تكلم فيها عن نهر النيل وفروعه وترعه ، وأهميته بالنسبة لمصر ، وأثره فى تاريخها وشعبها وحضارتها ، وختم هذه المقدمة بالكلام عن أحدث الكشوف الجغرافية التى تمت فى عهده ، فتحدث عن البعث التى أرسلها محمد على للكشف عن منابع النيل ، وخص بالذكر البعثة التى قادها سليم قبودان ودرنود بك فى سنة ١٨٤١ التى سارت فى النيل الأبيض مسافة ٥٠٠ فرسخ جنوب الخرطوم ، ونقل النتائج التى وصلت إليها البعثة ، وقارن بينها وبين أقوال بطليموس الجغرافى عن منابع النيل .

ويعد فراغه من هذه المقدمة تكلم عن تاريخ مصر فى عصور الفراعنة والبطلمة والرومان ثم فى العصر البيزنطى ، وقد ميز هذا العصر لانتشار المسيحية فيه ، ولهذا يسمى الدولة فى هذا العصر « دولة الروم العيسوية بمدينة القسطنطينية » .

وختم هذا الجزء بالفتح العربى لمصر ، ولهذا فقد جعل الفصل الأخير من كتابه خاصاً بالكلام عن العرب قبل الإسلام وعاداتهم ولغتهم وأسواقهم وآدابهم . . . الخ .

ورفاعه قد انتهج فى هذا الكتاب منهجاً علمياً ، فهو ينقل عن المراجع القديمة والحديثة ، العربية وغير العربية ، يقول رفاعه

عن المادة التي أتى بها في كتابه : « واقتطفتها من الكتب  
العديدة ، واستخرجتها من التواريخ القديمة والجديدة ، عربية  
كانت أو غير عربية » .

وهو لا ينقل عن هذه المراجع دون فهم ، بل هو يخضع  
كل قول للفحص والنقد ، ويقارن ما ينقله عن المراجع  
الأوربية — وخاصة المعلومات الجديدة عن تاريخ مصر  
القديم — بأقوال العرب أو اليونان القدامى ، فإذا اتفقت المراجع  
على شيء أخذ به ، وإذا اختلفت أخذ بالجديد الذي تؤيده  
الكشوف الأثرية والكتب التاريخية الحديثة ، وكان حريصاً  
الحرص كله أن يستبعد دائماً كل ما شاب التاريخ المصري القديم  
من شوائب الأباطيل والخرافات ، مما تمتلئ به كتابات المؤرخين  
القدماء ، وقد شرح رفاة منهجه هذا في مقدمته ، فقال إنه  
تجنب « الأقوال غير الموضوعية مما يظهر بعرضه على ميزان  
العقل أنه من محض الخرافات ، أو مما تولع به الأخباريون  
والقصاض من اختراع الأباطيل والخزعبلات ، أو مما توهمه  
أرباب الأوهام الفاسدة من العجائب التخيلية التي بدون قاتدة ،  
إذ كثير من كتب السير مشحون بخوارق العادات . . . فهذا  
الكتفيت يذكر جوامع الكلم في هذا التاريخ النافع وبيان  
ما اشتمل عليه فيما يخص أزمان مصر ، مما يتعلق بالمدنية  
والعسكرية من الوقائع ، مع الإعراب عن صيغ الباني والعوامل ،  
ورفع أعلام الفتوحات إلى فواعلها ، ونصب معالم الهياكل

والإفصاح عما سلف من إبداع الفنون والصنائع ، واختراع وسائل عموم المنافع ووسايط المصانع ، مع ما يضاف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال ، أو من إيقاظات تربط ما تأخر بما سبق وارتضاها المقال ، حيث أوجبها الكلام لدفع المنافاة بين العبارات السابقة واللاحقة ، أو للجمع بين الأقوال المختلفة لتصحيح التوفيق بينها والمصادقة ، فجاء هذا التاريخ بالنسبة لما سواه بشفاء الغليل ، لما احتوى عليه من اقتران المدلول بالدليل « (١) » .

وهو ينص كثيراً على المؤرخين الذين ينقل عنهم ، ويفعل ذكرهم أحياناً فيقول : « قال المؤرخون » أو « قال بعض المؤرخين » ، ومن المؤرخين القدامى الذين ينقل عنهم : « هيرودوت » و « مانيتون » ، ولكنه لا يأخذ أقوالهم قضية مسامة ، بل يخضعها للنقد ، ويقارن بينها وبين النتائج التي وصلت إليها الكشوف الأثرية الحديثة ، فهو يقول مثلاً في ص ١٢٥ : « وأكثر مؤرخي اليونان المشهورين كانوا أحياء في وقت هذه الواقعة فحكوها على ما ينبغي ، إلا أنهم وإن اتفقوا في الوقائع فقد اختلفوا في الأزمان والتواريخ ، وأصح حكايتهم في هذا المعنى كلام مانطون ، حيث يشهد له ما وجد في المباني المصرية مما يوافقه . . إلخ .

ويقول عند كلامه عن يختصر الثاني :

« وقد ذكرنا سبب مجيئه في مصر وحقيقته ، وبيننا أنه هو الصحيح ، وقد نقل مؤرخو اليونان في شأن ذلك أقاويل مطروقة للعامه مما يخرعه الحكويون من النوادر التي لا يليق بمنصب المؤرخ ذكرها واعتمادها . . »

ومن المراجع العربية التي أشار إليها : فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وصرح الذهب للمسعودي ، والخطط للمقرئ ، والشفا للقاضي عياض ، وصحيح الإمام مسلم ، والأوائل للسيوطي . . الخ

ومعظم مادة هذا الكتاب مأخوذة عن المصادر الفرنسية ، وقد أشار رفاعة إلى « قاموس مشاهير الرجال الفرنسيين <sup>(١)</sup> » ، وإلى مازيت باشا <sup>(٢)</sup> .

وقد كان لكتاب « أنوار توفيق الجليل » قيمته ومكانته في الوقت الذي ألف فيه وبعده بقليل ، ولكنه الآن لم تعد له قيمة علمية ، فقد تغير كثير من الحقائق الواردة فيه بعد الكشوف الأثرية الضخمة وبعد ظهور عشرات بل مئات المؤلفات التي كتبت في القرن العشرين عن تاريخ مصر القديم بمصوره المختلفة ،

(١) ج ٩٠

(٢) ج ١٠٧

وبقيت للكتاب بعد ذلك هذه الدلالة التي أشرنا إليها على تطور حركة التأليف التاريخي في مصر على يد رفاة رافع الطهطاوي في القرن التاسع عشر .

وقد رأى رفاة قبل أن يؤرخ لمصر في العصر الإسلامي أن يقف وقفة طويلة فيؤرخ للرسول عليه السلام ، ويكتب سيرة له جديدة يلتزم في كتابتها المنهج العلمي المعترف به لكتابة التاريخ في عصره ، وقد كتبت في سيرة الرسول كتب كثيرة ، كانت آخرها السيرة التي كتبها المؤرخ المصري الكبير تقي الدين المقرئزي حوالى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي تحت عنوان « إمتاع الأسماع بما للرسول من خولة وحفدة ومتاع » .

ثم سكتت أقلام المؤرخين المصريين منذ ذلك الوقت إلى أن كتب رفاة هذه السيرة الجديدة ، ولم يحاول أحد من المصريين بعد رفاة أن يكتب سيرة جديدة للرسول إلى أن كتب الدكتور محمد حسين هيكل « حياة محمد » حوالى سنة ١٩٣٥ .

وجعل رفاة هذه السيرة الجزء الثاني في كتابه الذي كان يرمع وضعه في تاريخ مصر ، وسماها « نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز » ، وقد بدأ بنشره على حلقات في مجلة روضة المدارس في سنتها الثالثة ، ولكن النية عاجلته قبل أن يتم طبعه في مجلد مستقل ، وقد أشرف على إتمام هذا الطبع ابنه على فهمي

رفاعة ، وتم طبع الكتاب في مطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩١  
( ١٨٧٤ م ) .

وقد تتبع رفاعة في هذا الكتاب حياة الرسول منذ مولده إلى  
وفاته ، فروى قصة حياته طفلاً وياًفعماً ورجلاً وكهلاً ، وتكلم عن  
البعثة وعن عهد الدعوة في مكة ، ثم عن الهجرة وعهد تكوين الدولة  
في المدينة ، وعن الفزوات ، ثم أفرد فصلاً للحديث عن زوجات  
النبى ، وفصلاً عن معجزاته وهكذا .

والجديد في هذا الكتاب هو الفصل الأخير الذى أفرده  
رفاعة للتحدث عن نظام الحكومة في عصر النبى ، فجمع الأقوال  
المختلفة البعثرة في كتب السيرة الأخرى ونظمها نظاماً جديداً ،  
وكتب منها بحثه الجديد هذا ليدل على أن أسس الحكومة  
الإسلامية بفروعها المختلفة قد وضعت في زمن النبى ، فتكلم عن  
الوزارة والحجابه والكتابة ، وعن إمارة الحج وكسوة الكعبة  
واستطرد فتكلم عن المحمل ، ثم تكلم عن نظم السفارات وعن  
الصلح والأمان ، وعن الجيش والعطاء والديوان ، وعن القضاء  
والشهود وكتابة الشروط والعقود ، وعن الوارث والحسبة  
والشرطة والجاسوسية والسجون ، وعن الجهاد وإمارة الحرب  
وصاحب اللواء وتقسيم الجيش إلى خمسة أقسام ، والسلاح وأنواعه  
على عهد الرسول ، وعن كل ما يتصل بالحرب من إعداد للسفر

وتمهيد للطرق وحراستها ، وعن مواد المحاصرات كالمجانيق والدبابات  
والخنادق ، وعن صاحب المغنم والبشير الذي يرسل للبشارة بالفتح ،  
وعن السفن التي استعملت في زمن الرسول .

ثم ينتقل إلى النظام المالي فيتحدث عن الجزية والحراج ،  
وصاحب المساحة والعامل على الزكاة ، وعن الأوقاف ، وعن صاحب  
الموارث والمستوفي والمشرف ، وعن صاحب بيت المال وخازن  
الطعام ، ثم يتكلم عن الأوزان والأكيال الشرعية المستعملة في  
عهد الرسول ، وعن ضرب السكة .

ثم ينتقل إلى النواحي الاجتماعية فيتحدث عن الماوسان  
والطب والرقية والفسد والكي ، ثم عن الحرف والصناعات التي  
كانت في عهد رسول الله ، وعن التجارة وتوابعها .. الخ .. الخ  
وهذا فصل له قيمة كبرى ولا يزال يحتفظ بقيمته حتى الآن  
بين الدراسات التي كتبت في سيرة الرسول أو نظم الحكم  
الإسلامية بوجه عام ، ومن الواجب أن يلتفت إليه دارسو التاريخ  
الإسلامي ويفيدوا منه ، ولست أعرف أحداً كتب في هذا  
الموضوع بعد رفاة غير الكاتب المغربي عبد الحى الكتانى في  
كتابه « الترتيبات الإدارية في عهد الرسول » .

وقد اعتمد رفاة عند وضع هذا الكتاب على عدد كبير من  
كتب السيرة والتاريخ الإسلامى ، مما يدل على أنه كان واسع

الاطلاع وعلى معرفة وثيقة بالمكتبة التاريخية الإسلامية ، وهو لا ينقل عن هذه الكتب نقلاً حرفياً كما كان يفعل سابقوه من المؤرخين ، بل يحسن الاختيار ، ويحسن عرض النصوص بعد أن يخضعها للنقد والفحص والمقارنة .

وعند هذا الجزء وقف قلم رفاعة فلم يكمل للأسف الشديد الأجزاء الباقية التي كان يزمع أن يؤرخ فيها لمصر في العصر الإسلامي ، وإن كان تلميذه صالح مجدى قد ذكر في ترجمته له أنه كتب قسماً من تاريخ مصر في العصر الإسلامي وصل فيه إلى خلافة المطيع ، ولكننا لانعرف شيئاً عن هذا القسم أو مصيره .

ولرفاعة غير هذين الكتابين فصول تاريخية لها قيمتها نجدها متناثرة في بعض كتبه الأخرى ، وخاصة في رحلته إلى باريس وفي : « مباحج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية » و « المرشد الأمين في تهذيب البنات والبنين » .

## معاصرو رفاة

وقد عاصر رفاة في عصر محمد على عددٌ من شيوخ الأزهر الذين تعلموا على الشيخ حسن العطار وتأثروا به وأقبلوا على دراسات فيها شيء من التجديد، من أمثال الشيخ إبراهيم الدسوقي، والشيخ محمد عياد الطنطاوى، والشيخ محمد عمر التونسى وغيرهم. ولم تتح لهؤلاء فرصة السفر إلى أوروبا كما أتاحت لرفاعة، ولكنهم ساهموا في — معظمهم — في خدمة حركة الترجمة على وجه آخر، فشاركوا المترجمين في مراجعة الترجمات وتصحيحها وتحريها، وقد أدوا للثقافة العربية خدمات كبيرة، فقد كانوا ينبشون في المراجع العربية اللغوية والعلمية القديمة للبحث عن المصطلحات العلمية العربية التي تقابل المصطلحات العلمية الأوربية.

وقد اتصل الشيخ إبراهيم الدسوقي بالمستشرق الإنجليزى المستر لين عند مجيئه إلى مصر وعاونه معاونة فعالة في ترجمة القاموس المحيط إلى اللغة الإنجليزية.

واتصل الشيخ محمد عياد الطنطاوى بكثير من المستشرقين الذين كانوا يفتدون إلى مصر في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، وقد كان الشيخ الطنطاوى<sup>(١)</sup> من أوائل الشيوخ الذين

(١) الشيال : الدكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر

التونسى ؛ مجلة كلية الآداب بجامعة اسكندرية ، العدد الثانى ، ١٩٤٤

حاولوا تدريس الأدب في الأزهر في أوائل عصر محمد علي ، ثم سافر إلى روسيا حوالي سنة ١٨٤٠ ، وكان أول أستاذ مصري أزهرى يعين لتدريس اللغة العربية في جامعة بطرسبرج ، وظل مقبياً هناك هو وزوجه وابنه إلى أن توفي سنة ١٨٦١ ، ودفن في مقابر المسلمين بمدينة ليننجراد ، وقد ألف أثناء مقامه في روسيا عدداً من الكتب والرسائل معظمها في النحو واللغة والقراءة ، وبعض منها يتصل بالتاريخ نخص بالذكر منها :

- مسودات في تاريخ العرب .
  - تاريخ روسيا وسماه « تحفة الأذكياء في أخبار بلاد روسيا » .
  - رسالة عن الأعياد المصرية .
  - قطعة من تاريخ حياته .
  - أحسن النخب في معرفة لسان العرب .
- وهذه الكتب جميعاً مخطوطة لم يطبع منها إلا الكتاب الأخير ، فقد طبع في ليسك سنة ١٨٤٨ ، وقد ضمنه الطنطاوى بعض أخباره ، ونقل فيه بعض الرسائل التي تبودلت بينه وبين بعض أصدقائه في مصر — وخاصة رفاعة الطهطاوى — بعد سفره إلى روسيا .

وأكثر هؤلاء المعاصرين اتصالاً بموضوعنا وبالدراسات التاريخية هو الشيخ محمد عمر التونسي ، وتاريخه عجيب : فهو تونسي

أصلاً ومولداً وإن كانت أمه مصرية ، وقد تلقى علومه في الأزهر ثم سافر إلى السودان للبحث عن أبيه ، فالتقى به في دارفور وأقام معه زمناً ، وتنقل في أنحاء السودان ، وعاد إلى مصر فعين أول الأمر واعظاً في الآلاى الثامن من المشاة ، وسافر معه إلى بلاد المورة ، وبعد عودته عين مصححاً للكتب الطبية التى تترجم فى مدرسة الطب المصرية ، واتصل هناك بصفة خاصة بالدكتور برون Dr. Perron مدير المدرسة ولازمه ، وقامت بين الرجلين صداقة متينة ، والدكتور برون هو الذى حرصه على تسجيل مشاهداته فى السودان ، فكتب كتابيه القيمين :

١ — رحلة دارفور المسماة « تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » ، وقد ترجمها إلى اللغة الفرنسية الدكتور برون ونشر النص العربى فى باريس سنة ١٨٥٠ ، ونشرت الترجمة الفرنسية فى سنة ١٨٥٥ .

٢ — رحلة وادى ، وقد كتبها أيضاً تنفيذاً لرغبة الدكتور برتون ، ولم ينشر النص العربى لهذه الرحلة حتى اليوم ، بل ولا يعلم مصيره ، فقد كان فى حوزة دكتور برون ، وإنما نشرت الترجمة الفرنسية التى قام بها برون أيضاً فى باريس سنة ١٨٥١ .

وهذان الكتابان يتضمنان — إلى جانب سيرة المؤلف نفسه الشيخ التونسى — الكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن

بلاد السودان في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، ولا يزالان يعتبران حتى اليوم من المراجع الهامة عن تاريخ السودان في العصر الحديث .

### تلاميذ رفاة

ذكرنا من قبل أن رفاة استعان بنفر من تلاميذه في مدرسة الألسن لتحقيق الخطة التي وضعها لتزويد المكتبة العربية بعدد من الكتب المترجمة لتغطية تاريخ العالم في عصوره المختلفة ، ولم يعرف تلاميذ الألسن وخريجوها في أول الأمر التخصص في ترجمة علم بعينه ، وإنما كان يفرغ أحدهم من ترجمة كتاب في التاريخ ، فيعهد إليه بترجمة آخر في الطب ، ثم ثالث في الكيمياء أو في الجغرافيا ، وهكذا .

ولكننا نلاحظ أن ميول الخريجين الخاصة ، ووظائف الترجمة التي تولوها بعد تخرجهم قد وجهت كلا منهم إلى نوع من التخصص في الترجمة أو التأليف في علم من العلوم ، فأتجه محمود خليفة ، وأبو السعود ، ومصطفى الزرابي ، ومحمد مصطفى البياع إلى ترجمة الكتب التاريخية ، وأتجه صالح مجدى ، وأحمد عبيد الطهطاوى إلى ترجمة الكتب الهندسية والحربية ، ومحمد الشيمي ، والسيد عمارة ، وحسين على الديك إلى ترجمة الكتب الرياضية ،

وعبد الله السيد ، ومحمد قدرى إلى ترجمة الكتب القانونية والتأليف فيها . . . وهكذا .

وقد أشرنا من قبل إلى بعض الكتب التاريخية الهامة التي ترجمها تلاميذ رفاة في مدرسة الألسن ، ونستطيع أن نضيف إليها هنا كتابين آخرين ترجمهما « خليفة محمود » ، وهما : « إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوربا » و « إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور شارل كان » ، والكتاب الأول مقدمة للثاني ، وهما من تأليف المؤرخ الإنجليزي روبرتسون Robertson<sup>(١)</sup> ، وإن كان خليفة محمود قد ترجمهما عن ترجمة فرنسية .

وقد عني بالدراسات التاريخية خاصة اثنان من تلاميذ رفاة في مدرسة الألسن هما : عبد الله أبو السعود ، وصالح مجدى ، وقد كانا أكثر الخريجين اتصالاً بأستاذهم رفاة في عهد محمد علي ثم في عهد إسماعيل ، وكانا أكثر الخريجين إنتاجاً وترجمة ، بل وتأليفاً فيما بعد .

---

(١) انظر : الشيال : رفاة الطهطاوى ص ٩٧ ، وتاريخ الترجمة ، قائمة الكتب المترجمة ( في آخر الكتاب ) .

## عبد الله أبو السعود :

أما أبو السعود فقد ولد في دهشور في سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠) ، وكان والده قاضياً ، ثم اختير ناظراً لأحد المكاتب التي أنشأها محمد علي ، وهو مكتب البدرشين ، وذلك في سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) ، فألحق ابنه تلميذاً بهذا المكتب ، ومنه اختاره رفاعة بك في سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ليكون تلميذاً بمدرسة الألسن ، وفيها تفوق على أقرانه وخاصة في اللغة العربية ، فاختر في سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) مدرساً لهذه اللغة خلفاً لأستاذه الشيخ حسين الغمراوي ، ومنح رتبة الملازم الثاني .

وبعد قليل رقى إلى رتبة الملازم الأول ، ونقل إلى مدرسة المهندسخانة فكان يدرس بها اللغة الفرنسية ، ويشترك في تصحيح الكتب الرياضية التي يترجمها مدرسوها ، ولم يكتف في هذه السنوات بالثقافة التي تلقاها في مدرسة الألسن ، بل كان يحضر دروس الفقه في الجامع الأزهر ، وفي سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) عندما أعيد تنظيم قلم الترجمة الملحق بالألسن نقل إليه أبو السعود ، ولم يترجم في هذه الفترة إلا كتاب « نظم الآلى في السلوك فيمن حكم فرنسا ، ومن قابلهم على مصر من الملوك » والثلاثان الأولان من الكتاب مترجمان عن الفرنسية وموضوعهما تاريخ ملوك فرنسا من الدولة « الميروفنجية » إلى عهد الملك

« لوى فيليب » ، أما الثلث الأخير فمن وضعه ، وقد ضمنه تاريخ  
حكام مصر وولاتها منذ عهد الخليفة أبي بكر الصديق إلى عهد  
السلطان عبد الحميد ، وقد طبع هذا الكتاب في بولاق  
سنة ١٢٥٧ .

وفي عهد عباس الأول انزوى أبو السعود موظفاً عادياً  
لا جهد له ولا نشاط ، ولا عجب فهو تلميذ رفاة ، فأصابه حينذاك  
ما أصاب أستاذه من عنت ، فلما تولى سعيد باشا الحكم عاد  
أبو السعود إلى الحياة العامة ، وسافر مع الوالى إلى السودان  
كاتباً لمعيته ، وبعد عودته عين بقلم الترجمة بالخارجية ، وفي أوائل  
عهد إسماعيل عاد إلى قلم الترجمة الملحق بديوان المدارس ليعمل  
من جديد بالاشتراك مع زميله صالح مجدى تحت رئاسة أستاذهما  
القديم رفاة بك .

وفي هذا العهد أيضاً خطا أبو السعود خطوة جريئة فأنشأ  
في مصر أول صحيفة وطنية شعبية ، وهي جريدة « وادى النيل » ،  
وقد كان لهذه الصحيفة شأن كبير في التمهيد للحركة الوطنية  
في عهد إسماعيل .

وقد أسهم أبو السعود في تحرير أول مجلة مصرية ظهرت في  
ذلك الوقت ، وهي « روضة المدارس » ، ثم اختير في أخريات أيامه  
ناظراً لقلم الترجمة خلفاً لأستاذه رفاة ، ثم كان مدرساً للتاريخ

بمدرسة دار العلوم ، وعضواً بمجلس الاستئناف إلى أن توفي في الثامن من صفر سنة ١٢٩٥ (يناير ١٨٧٨) .

وقد أسهم أبو السعود كذلك في حركة نشر الكتب التاريخية القديمة فأشرف على طبع « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين » لأبي شامة لأول مرة . ( طبع في مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، ١٢٨٧ - ١٢٨٨ = ١٨٧٠ - ١٨٧١ ) .

### صالح مجدى :

أما السيد صالح مجدى فقد ولد في قرية أبي رجوان من أعمال مديرية الجيزة في سنة ١٢٤٢ أو سنة ١٢٤٣ ( ١٧٢٦ - ١٨٢٧ ) ، وتلقى علومه الأولى في مكتب حاوان ، ومنه اختير - كما اختير زميله أبو السعود - ليكون تلميذاً بمدرسة الألسن ، فألحق بها في سنة ١٢٥٢ هـ ( ١٨٣٦ م ) .

وفي عهد تلمذته بهذه المدرسة ظهر نبوغه في اللغتين العربية والفرنسية ، فلما أنشئ قلم الترجمة في سنة ١٢٥٨ ، وجعل من أقسامه قسم لترجمة الكتب الرياضية تحت رئاسة بيومى أفندى ، جعل صالح مجدى وكيلا لهذا القسم ، وفيه ترجم كتابين من كتب الهندسة .

وفي سنة ١٢٦٠ نقل إلى مدرسة المهندسخانة ، خلفاً لزميله

أبي السعود الذي نقل من الهندسخانة إلى قلم الترجمة في سنة ١٢٥٩ ، وفي هذه المدرسة عين مجدي « لتدريس اللغتين الفرنسية والعربية ، وتعليم نجباء تلامذتها فن الترجمة ، وتعريب فروع الرياضيات التي تدرس بها على القواعد العربية ، يقول علي مبارك في خططه : « إني قد كنت من رجال هذه المدرسة ، فعرفت المترجم فيها ، واتخذته لي صاحباً وصديقاً ، وكنت قد تعينت في سنة ستين التي التحق هو فيها بتلك المدرسة ، للسفر مع عدة من أمثالي إلى مملكة الفرنسيين لتكميل العلوم الرياضية ، وتحصيل الفنون العسكرية المتعلقة بالطوبجية والاستحكامات ، فلما رجعت إلى مصر بعد خمس سنين وجدته قد وصل إلى رتبة يوزباشي ، وأخبرني أنه أحرزها في سنة ١٢٦٢ ، وأنه عرب في هذه المدة عدة كتب في فروع الرياضيات . . . ولما أحيلت على عهدتي نظارة الهندسخانة وما معها سنة ست وستين . . . كان لي المترجم رفيقاً مع قيامه بوظائفه ، وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة في فنون شتى ، وقد ترجم في تلك المدة عدة كتب في الرياضة . . الخ » .

وهكذا كان صالح مجدي<sup>(١)</sup> أسعد حظاً من صديقه

(١) انظر ترجمته في مقدمة ديوانه ، وفي ( جورجى زيدان : تاريخ

آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ) .



السيد صالح مجدي

obeikandi.com

أبي السعود ، فقد مهدت له معرفته بعلي مبارك السبيل إلى البقاء في مدرسة المهندسخانة في عهد عباس ، وفي هذه المدرسة قضى نحو عشر سنوات أنتج فيها هذا الإنتاج الضخم .

وفي عهد سعيد عاد أستاذه رفاة من السودان ، فلم يلبث أن جذبته إليه ، فنقل ناظراً لقلم الترجمة الملحق بالمدرسة الحربية بالقلمة التي كان يتولى نظارتها رفاة .

وفي أوائل عهد إسماعيل أعيد إنشاء قلم الترجمة الملحق بديوان المدارس ، وتولى الإشراف عليه رئيسه القديم رفاة بك ، وكان من مترجميه أبو السعود وصالح مجدى ، بل لقد أتى على هذا القلم وقت لم يكن به من المترجمين غير صاحبينا وزميل ثالث لهما كان له شأن أى شأن في ترجمة الكتب التاريخية في عصر محمد على ، وهو حسن الجبلى .

وقد شارك مجدى في تلك الفترة كأستاذه رفاة وزميله أبي السعود في التحرير في روضة المدارس ، ثم في ترجمة « قانون نابليون Code Napoleon » .

وظل يتقلب في الوظائف حتى عين في سنة ١٢٩٣ (١٨٧٥) قاضياً بمحكمة مصر ولبث يشغل هذا المنصب حتى توفي في ذى الحجة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) .

وفي كل تلك الجهود كان علي مبارك يستعين به وبجهوده وعلمه في تأليف وتصنيف معظم كتبه ، وقد أشار علي مبارك في خططه إلى بعض هذه الكتب<sup>(١)</sup> ، ويعيننا منها هنا كتاب ذكر علي مبارك أنه وضعه في تاريخ مصر ، وأن صالح مجدي عاونه في تأليفه ، قال : « وباشر معي بعض التاريخ الذي عملته للديار المصرية في عدة مجلدات ، وبعض رسائل جمعها ، وطبعت يعرفته في جرنال روضة المدارس » .

ولسنا نعرف عن هذا التاريخ شيئاً غير هذا النص وغير نص آخر ذكره محمد مجدي في ترجمته لوالده التي نشرها في مقدمة ديوانه ، فقد قال إنهما — أي علي مبارك ووالده صالح مجدي — أتما من هذا الكتاب : « ما يتعلق بالفراعنة والأكاسرة والبطالسة والرومانين ، ووصلا فيه في مدة الإسلام إلى سنة ستين ومائة بعد الألف من الهجرة ، وبلغ ما جمع فيه من المجلدات نحو أربعمئة كراسة ، وهو الآن لدى سعادة علي مبارك باشا ، والغالب أنه مهياً للطبع . . »

وقد ظن البعض أن المقصود بهذا الكتاب هو كتاب الخطط التوفيقية ، غير أن الخطط تم طبعها في سنة ١٣٠٤ — سنة ١٣٠٦ ( ١٨٨٦ — ١٨٨٩ ) ، وديوان صالح مجدي الذي

(١) الشيال : رفاة ، ص ١١٢

ورد فيه هذا النص طبع في سنة ١٩١١ ، أى بعد إتمام طبع الخطط باثني عشر عاما ؛ فالكتاب التاريخي الذي كان مهياً للطبع في سنة ١٩١١ هو غير الخطط قطعاً ، وخاصة أن موضوعه هو تاريخ مصر في مختلف العصور لاطبوغرافيتها ، ويضاف إلى هذا أيضاً أن النص الأول ذكره على مبارك عند ترجمته لصالح مجدى في الخطط ، فلو أنه كان يعنى بالتاريخ الخطط لنص على هذا ، غير أنى رجعت إلى قائمة الكتب المطبوعة التى ألفها على مبارك أو صالح مجدى ، فلم أجد من بينها كتاباً فى تاريخ مصر ، فلهذا لم يطبع .

\* \* \*

أبو السعود وصالح مجدى علمان كما قلنا من أعلام خريجي الألسن ، وهما خير نموذجين لهؤلاء الخريجين ، وعلى مثالهما بذل إخوانهما الجهد فى الترجمة والتأليف ، ومن طبقتهما محمد عثمان جلال فى الأدب ، وقدرى باشا فى ميدان القانون .

وقد ربطت الحوادث بين هذين العلمين وبين أستاذهما رفاعة ، فعملًا معه فى قلم الترجمة فى عصرى محمد على وإسماعيل ، واشتركا معه فى تحرير روضة المدارس ، وفى ترجمة قانون نابليون ، غير أنهما رغم هذا اختلفا الواحد عن الآخر فى ميادين أخرى ، فقد كان صالح مجدى أقرب إلى على مبارك فى دراساته وثقافته

الرياضية والعسكرية ، ولهذا تعاونت في إنتاجه العلمي مع  
على مبارك أكثر من تعاونه مع أستاذه رفاعة ، ومع هذا فقد  
كان فضل رفاعة عليه كبيراً ، فإن ثقافته الفرنسية والعربية التي  
تلقاها في مدرسة الألسن هي التي رشحته للعمل في قلم الترجمة في  
عهدي محمد علي وإسماعيل ، وهي التي رشحته للعمل في مدرسة  
المهندسخانة في عهدي محمد علي وعباس ، وثقافته القانونية في  
الألسن هي التي رشحته للعمل في ترجمة القوانين ، ثم لتولى  
وظيفة القضاء في عصر إسماعيل ، لهذا كان مجدى أبر التلاميذ  
بأستاذه ، فهو الوحيد من بين تلاميذ رفاعة الذي أرخ له بعد  
وفاته ، فكتب عنه كتابه القيم - رغم صغره - « حلية الزمن  
بذكر مناقب خادم الوطن » ، وهذا هو الكتاب التاريخي الثاني  
الذي ألفه صالح مجدى ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب  
المصرية<sup>(١)</sup> ، رقم ١٠٢٦ .

أما أبو السعود فكان أكثر تأثراً بأستاذه ، فقد تخرج من  
الألسن شغفاً كأستاذه بعلمى التاريخ والجغرافيا ، ولهذا كانت  
معظم مترجماته ومؤلفاته في هذين العلمين ، وقد أشرنا فيما سبق  
إلى جهوده في ترجمة وتأليف ونشر الكتب التاريخية .

---

(١) قمت أخيراً بنشر هذا الكتاب وتحقيقه ، وطبع في مطبعة مصطفى  
اللباني الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨ بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للآداب  
والفنون بذكرى رفاعة .